الوصايا الربانية في خواتيم سورة النحل

- دراسة تحليلية-

د. فهد بن متعب بن مبارك الدوسري

الأستاذ المشارك في قسم القرآن الكريم وعلومه
كلية أصول الدين/ جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث

يتناول هذا البحث الوصايا التي أوصى الله تعالى بها نبيه ﷺ وأمته، والتي وردت في الآيات الأربع الأخيرة من سورة النحل؛ وقد ابتدأ البحث بالتمهيد المتضمن التعريف الموجز بسورة النحل، مع الإشارة إلى أبرز مقاصد السورة ومحاورها.

ثم المبحث الأول: وفيه الوصية بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالطريق الأحسن، ثم المبحث الثاني: وفيه الوصية بالأمر بالعدل في العقوبة أو الصبر، مع كون الصبر أولى، ثم المبحث الثالث: وفيه الوصية بالصبر في سبيل الدعوة، مع استحضار العون عليه من الله تعالى، وترك الحزن على المخالف بعد استفراغ الجهد معه.

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد:

فإن من أعظم نعم الله على عباده أن أرسل إليهم خير رسله، محمداً عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم، وأنزل عليهم خير كتبه، وهو القرآن الكريم، فهو النعمة العظمى، والمنحة الكبرى، والعطية الجزلى، ومن سور القرآن العظيمة المتضمنة تعداد نعم كثيرة: سورة النحل، والتي يسميها بعض المفسرين: سورة النعم، وقد ختم الله هذه السورة الكريمة بجملة من الوصايا النافعة للخلق في معاشهم، وبعد مماتهم، ومن هذا المنطلق أحببت أن أساهم في تجلية هذه الوصايا التي ختم الله بها هذه السورة، والوقوف على شيء من معانيها وهداياتها في بحث مختصر، جعلت عنوانه: (الوصايا الربانية في خواتيم سورة النحل) سائلاً المولى جلت قدرته التوفيق والتسديد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- تعلّقه بهدايات القرآن العزيز، وهو من المباحث الهامة المرتبطة بكتاب الله تعالى.

٢- صلته الوثيقة بعلم مقاصد القرآن الكريم؛ ففيه بيان لشيء

من منهج القرآن الكريم في الدعوة وما يلاقيه الداعي من صعوبات، وذلك من خلال سورة النحل.

٣- عنايته بجانب مهم من جوانب دلالات القرآن العظيم ووصاياه، وإبراز ما جاء في خواتيم سورة النحل لتلك الدلالات.

أهداف البحث:

١- بيان شيءٍ من طرق القرآن الكريم في الدعوة إلى دين الله تعالى.

٢- تجلية المنهج الشرعي عند إرادة الاقتصاص ممن ظلم.

٣- الوقوف على بعض هدايات القرآن الكريم في التعامل مع المخالف.

حدود البحث:

يتناول هذا البحث الوصايا التي أوصى الله تعالى بها نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأمته، والتي وردت في الآيات الأربع الأخيرة من سورة النحل.

الدراسات السابقة:

- بعد بحث ونظر وتأمل وسؤال واطلاع على فهارس المكتبات؛ لم أقف على من أفرد هذا الموضوع بالبحث والدراسة.

خطة البحث:

جاء هذا البحث في مقدمة، وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، على النحو التالي:

- المقدمة: وفيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه،

وحدوده، والدراسات السابقة حوله، وخطته، والمنهج المتبع في كتابته.

- التمهيد: وفيه التعريف الموجز بسورة النحل، مع الإشارة إلى أبرز مقاصد السورة ومحاورها.
- المبحث الأول: الوصية بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالطريق الأحسن.
- المبحث الثاني: الأمر بالعدل في العقوبة أو الصبر، مع كون الصبر أولى.
- المبحث الثالث: الحث على الصبر في سبيل الدعوة، مع استحضار العون عليه من الله تعالى، وترك الحزن على المخالف بعد استفراغ الجهد معه.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج.
- قائمة المصادر والمراجع.

منهج البحث:

سلكت في بحثي هذا: المنهج التحليلي الموازن؛ بأن جعلت محتوى الآيات تحت عناوين تلخص ما ورد في الآيات من وصايا، ثم عمدت إلى استجلاء آراء المفسرين والموازنة بينها لإيضاح دلالة الآيات وهداياتها، مع العناية بإبراز ما يظهر من تناسب بين الآيات، كما قمت باتباع المنهج العلمي المتبع في كتابة هذه البحوث العلمية وفق التالي:

- عزو الآيات إلى سورها، وكتابتها بالرسم العثماني.
- عزو القراءات القرآنية لمن قرأ بها، مع توثيقها من مصادرها المعتمدة.

- تخريج الأحاديث من مصادرها، والحكم عليها إذا لم تكن في الصحيحين.
- عزو النقول والأقوال إلى مصادرها الأصلية.
- الضبط بالشكل لما يحتاج من النصوص.
- اكتفيت بإتباع كل علم بسنة وفاته، دون الترجمة له؛ طلباً للتخفيف وعدم إثقال البحث.

هذا والله أسأل الإعانة والتيسير، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد: التعريف بسورة النحل

سورة النحل: مكيةٌ في قول الجمهور، غير ثلاث آيات هي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (النحل:١٢٦-١٢٨)[١].

وسميت سورة النحل بهذا الاسم لذكر النحل فيها في قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (سورة النحل: ٦٨) ولم يرد ذكر النحل في سورة أخرى غير هذه السورة.[٢]

وورد عن بعض السلف تسميتها بسورة النِعَم؛ لما عدّد الله فيها من النعم، وأنواع منافع الخلق على عباده.[٣]

وعدد حروفها: سبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف، وعدد كلماتها: ألف وثمانمائة وواحد وأربعون كلمة، وتبلغ آياتها: مائة وثمان وعشرون آية.[٤]

(١) نسب القول بمكية السورة للجمهور: ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٩٣/١٤، وانظر تعيين من قال بأن السورة مكيّة غير الآيات الثلاث في: جامع البيان للطبري: ٤٠٣/١٤، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤٨/٢.

(٢) انظر: محاسن التأويل للقاسمي:٣٤٩/٦.

(٣) ممن ورد عنه تسميتها بهذا الاسم : قتادة، وروي مثله عن علي بن زيد ، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: ٢٢٩٥/٧، المحرر الوجيز لابن عطية: ٣٧٧/٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٤٨/٢، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي:٦٥/١٠، و مصاعد النظر للبقاعي: ٢١٣/٢-٢١٤، و التحرير والتنوير لابن عاشور:٩٣/١٤.

(٤) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٢٣٩/٤.

مناسبة السورة:

جاء عند بعض أهل التفسير ذكرُ شيءٍ من أوجه مناسبة سورة النحل لسابقتها، وهي سورة الحجر، ومن ذلك:

أنّ الله -عز وجل- لما ختم الحجر بالإشارة إلى إتيان اليقين، فإذا أصابهم الموت جاءهم ما يوعدون مما يستعجلون به، ابتدأ النحل بمثل ذلك سواء، غير أنه ختم الحجر باسم الرب المشعر بالإحسان لطفا بالمخاطب، وافتتح هذه باسم الله الأعظم الجامع لجميع معاني الأسماء لأن ذلك أليق بمقام التهديد.[1]

ومن أوجه مجيء النحل بعد سورة الحجر: أن آخر الحجر شديد الاتصال بأول النحل؛ فإن قوله في آخر تلك ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ (سورة الحجر: ٩٩) الذي هو مفسر بالموت، ظاهر المناسبة لقوله هنا: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾، وانظر كيف جاء في المقدَّمة بـ ﴿يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ بصيغة المضارع، وفي المتأخرة بلفظ الماضي؛ لأن المستقبل سابق على الماضي، كما تقرر في المعقول والعربية.[2]

وجاء أيضاً في بيان التناسب بين سورتي الحجر والنحل: أنه لما

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ١١/١٠١-١٠٢.

(٢) انظر: أسرار ترتيب القرآن للسيوطي: ص ١٠١. وقد ذهب بعض أهل اللغة إلى أن الأصل في الأفعال هو الماضي؛ لأنه أسبق الأمثلة؛ لاعتلال المضارع والأمر باعتلاله، ولأن المضارع هو الماضي مع الزوائد، والأمر منه بعد طرحها، وفي الأسبق من الأزمنة الثلاثة خلاف، والحق الذي ذهب له جملة من العلماء هو: أنَّ المقدّم هو المستقبل؛ وذلك لأن الزمن المستقبل سابق على الزمن الماضي، ألا ترى أنك تقول: إن جئتني غدًا أكرمتك، فإذا انقضى الغد ولم تجيء قلت: لو جئتني أمس أكرمتك، فإذا وجد المستقبل صار حاضرًا، فإذا انقضى صار ماضيًا. وانظر تفصيل هذه المسألة في: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام: ص: ٣٣٧، وشرح التصريح على التوضيح للوقّاد: ٢/ ٤١٩، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي: ١/ ٤٥.

قال تعالى في السورة السالفة: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كان ذلك تنبيهاً إلى حشرهم يوم القيامة، وسؤالهم عما فعلوه في الدنيا، فجاء في الآية: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ وأيضا فإن قوله تعالى في آخرها: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ شديد الالتئام بقوله: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾[1].

أما وجه تناسب سورة النحل مع السورة التي تليها وهي سورة الإسراء فهو: أنه لما كان من مقصود سورة النحل التنزه عن الاستعجال وغيره من صفات النقص، والاتصاف بالكمال، وختمها بعد تفضيل إبراهيم عليه الصلاة والسلام والأمر باتباعه بالإشارة إلى نصر أوليائه – مع ضعفهم في ذلك الزمان وقلتهم – على أعدائه على كثرتهم وقوتهم، وكان ذلك من خوارق العادات، وأمرهم بالتأني والإحسان، افتتح هذه السورة بتحقيق ما أشار الختم إليه بما خرقه من العادة في الإسراء، وتنزيه نفسه الشريفة من توهم استبعاد ذلك، تنبيها على أنه قادر على أن يفعل الأمور العظيمة في أسرع وقت، دفعاً لما قد يتوهم من يسمع نهيه عن الاستعجال وأمره بالصبر، وبياناً لأنه مع المتقي المحسن، وتنويها بأمر محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإعلاما بأنه رأس المحسنين وأعلاهم رتبة وأعظمهم منزلة، بما آتاه من الخصائص التي منها المقام المحمود، وتمثيلا لما أخبر به من أمر الساعة فقال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ﴾ وهو علم للتنزيه، دال على أبلغ ما يكون من معناه، فنزه نفسه الشريفة عن كل شائبة نقص يمكن أن يضيفها إليه أعداؤه

(١) انظر: تفسير المراغي:١٤/٥١.

بهذا اللفظ الأبلغ عقب الأمر بالتأني آخر النحل.[1]

أبرز مقاصد سورة النحل ومحاورها:

يمكن إجمال المقصد الرئيس لسورة النحل في: أنها قصدت الدلالة على تمام قدرة الله تعالى، وسعة علمه، فهو سبحانه المتصرف في خلقه، المنزه عن شوائب النقص.

ومن أبرز مقاصد سورة النحل الفرعية، ومحاورها التي تدور معانيها حولها ما يأتي:

١. إنذار وتخويف العباد بمجيء القيامة، مع إقامة حجة الوحدانية.
٢. تعداد المنافع والنعم، وما في المراكب من التجمل والزينة.
٣. بيان قدرة الله تعالى على تسخير الشمس والقمر، وتثبيت الأرض والجبال، وهداية الكواكب في السفر والحضر. والنعم الزائدة عن العد والإحصاء.
٤. الإنكار على المنكرين، وبيان جزاء مكر الكافرين، ولعنة الملائكة للظالمين، وسلامهم على المؤمنين.
٥. عرض أحوال الأنبياء والمرسلين مع الأمم الماضية، وتأكيدهم على أهمية التوحيد.
٦. إظهار شيء من فوائد النحل، وذكر ما اشتملت عليه: من عجيب الحالات، مع بيان شيء من أوجه امتنان الله تعالى على خلقه بتسخير الطير، والمنة بالمساكن، والظلال، والثياب.

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ١١/٢٨٧-٢٨٨.

٧. ذم المتكبرين وذكر ما أعد لهم من العقوبة، والأمر بالعدل والإحسان، والنهي عن نقض العهد والخيانة.

٨. الأمر بالاستعاذة بالله عند تلاوة القرآن، ورد سلطان الشيطان عن المؤمنين والمؤمنات، وتبديل الآيات بالآيات تحقيقا لمصالح العباد.

٩. الرخصة بالتكلم بكلمة الكفر عند الإكراه والضرورة.

١٠. بيان التحريم والتحليل، وذكر إبراهيم الخليل وما منح من الدرجات، وذكر عقوبة المكذبين كأهل السبت.

١١. التوجيه بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

١٢. الأمر بالعدل في سائر الأحوال، ومن ذلك العدل في المكافأة والعقوبة.

١٣. الحث على الصبر عند البلاء، ووعد المتقين والمحسنين بأعظم المثوبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[1].

(١) انظر: مصاعد النظر للبقاعي: ٢/٢١٣-٢١٤، و زهرة التفاسير لمحمد أبو زهرة: ٨/٤١٢٠.

المبحث الأول

الوصية بالدعوة إلى سبيل الله بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالطريق الأحسن.

جاءت الوصية الأولى في خاتمة سورة النحل في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (سورة النحل:١٢٥) وقد جاءت هذه الآية وما تضمنته متناسبة مع ما ورد قبلها من آيات، فإن الله تعالى لمّا قدم في هذه السورة حكاية الكثير من استهزاء الكفار بوعده ووعيده، وتكذيبهم لرسله على أبشع وجه، وأتبعه ضرب الأمثال، ونصب الجدال، وختم ببيان منهج إبراهيم عليه السلام، لما كان ذلك، أتبعه سبحانه بدعوة نبيه ﷺ إلى أن يستن بآثاره، ويقتدي بمنهجه، وفسر له تلك الملة التي أمره باتباعها فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ سورة النحل:١٢٥) فأوصى نبيه محمد ﷺ باتباعه، وأن يجعل الأسس التي يبني عليها دعوته هي الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالحسنى[1]

فكان هذا الوجه من التلطف في الدعاء إلى الله نوعاً من الحكمة التي كان عليه الصلاة والسلام يدعو بها؛ فكل ما ذكر في القرآن من مكارم الأخلاق كان خلق رسول الله ﷺ، فصدق الفعلُ القول.[2]

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي/ ١١/٢٧٨-٢٨١، تفسير المراغي:١٤/١٥٨.
(٢) انظر: الموافقات للشاطبي:٥/٢٦٣-٢٦٤.

واعلم أنه تعالى أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن.

والأصل في معنى الدعوة: أن تُميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك.(١)

وذهب أهل التفسير إلى أنّ سبيل الله تعالى الذي أوصى الله تعالى نبيه بالدعوة إليه هو: الإسلام، أي:ادع من بعثت إليهم إلى الإسلام.(٢)

وتكون الدعوة إلى الإسلام بطرق ثلاث، يتخذ معها الداعي أسلوب التدرج، فيدعو أولاً بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم بالمجادلة بالتي هي أحسن.

فأما الحكمة التي أُمر الداعي بأن يبدأ بها فهي: اسم جامع لكل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا مستمرا لا يتغير.

ويدخل القرآن الكريم في معنى الحكمة دخولاً أولياً؛ فهو رأس الحكمة، وأعظم ما يدعى ويذكّر به، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ (سورة ق:٤٥)(٣).

ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل. والبداءة بالأهم فالأهم،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٢/٢٧٩(دعو)
(٢) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: ١/٢٣٢، وجامع البيان للطبري: ١٤/٤٠٠، ومدارك التنزيل للنسفي: ٢/٢٤١-٢٤٢، و التسهيل لابن جزي:١/٤٣٩، و أنوار التنزيل للبيضاوي:٣/٢٤٥.
(٣) انظر: جامع البيان للطبري: ١٤/٤٠٠، والنكت والعيون للماوردي:٣/٢٢٠، وزاد المسير لابن الجوزي: ٢/٥٩٣.

وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.[1]

فإن انقاد بالحكمة وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، والموعظة هي: القول الذي يلين نفس المقول له، ويجعله مهيئاً لعمل الخير.

وهي أخص من الحكمة؛ لأنها حكمة في أسلوب خاص لإلقائها.

وقد جاءت الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾﴾ (سورة النساء:٦٣)، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا﴾ (سورة الأعراف: ١٤٥).

وفي وصفها بالحسن حث على أن تكون لينة مقبولة عند الناس، أي حسنة في جنسها، وإنما تتفاضل الأجناس بتفاضل الصفات المقصودة منها.

وعطف الموعظة على الحكمة؛ لأنها تغاير الحكمة من جهة العموم والخصوص، فإنه قد يسلك بالموعظة مسلك الإقناع، فمن الموعظة حكمة، ومنها خطابة، ومنها جدل.

وقيدت الموعظة بالحسنة ولم تقيد الحكمة بمثل ذلك: لأن الموعظة لما كان المقصود منها غالبا ردع نفس الموعوظ عن أعماله السيئة أو عن توقع ذلك منه، كانت مظنة لصدور غلظة من الواعظ ولحصول انكسار في نفس الموعوظ، أرشد الله رسوله أن يتوخى في الموعظة أن تكون حسنة، أي بإلانة القول وترغيب الموعوظ في الخير، قال تعالى خطابا لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص٤٥٢.

وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ (سورة طه: ٤٢-٤٤)[١].

ومن الموعظة الحسنة: الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب.[٢]

فإما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها، والنواهي من المضار وتعدادها، وإما بذكر إكرام من قام بدين الله وإهانة من لم يقم به.

وإما بإيضاح ما أعد الله للطائعين من الثواب العاجل والآجل وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل.[٣]

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، فإنّ هناك من المدعوين من يحتاج إلى إلزامه وإفحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور، أو مقدمات مسلمة عند الخصم.[٤]

والأصل في معنى المجادلة: الاحتجاج لتصويب رأي، وإبطال ما يخالفه.

ولما كان ما يلقاه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أذى المشركين باعثاً له على الغلظة عليهم في المجادلة؛ أمره الله بأن يجادلهم بالتي هي أحسن، مع الصبر على الأذى، والتحمل في سبيل الدعوة.[٥]

(١) انظر: الوسيط للواحدي:٣/٩١، و الكشاف للزمخشري:٢/٦٤٤.
(٢) انظر: تفسير السمعاني:٣/٢١٠، والتسهيل لابن جزي:١/٤٣٩.
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص٤٥٢.
(٤) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري:٤/٣١٦.
(٥) روي نحو هذا المعنى عن مجاهد، انظر: تفسير مجاهد: ص ٤٢٧، وجامع البيان للطبري: ١٤/٤٠١، و الدر المنثور للسيوطي:٥/١٧٨.

ومما ينبغي مراعاته أن الاحتجاج على المخالف يكون بالأدلة التي يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، مع الحرص على ألا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها.[1]

وفي الآية دليل أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا كان المقصود منها إظهار الحق. وجاء ذكر ذلك في عدة آيات؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (سورة العنكبوت: ٤٦) وقال تعالى: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا﴾ (سورة الكهف:٢٢)[2].

ومن إعجاز القرآن الكريم أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل.[3]

ولما حث على الدعوة بالطرق المذكورة بين أن الهداية والرشد ليس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإنما ذلك إلى الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ فأبان جلّ ذكره في خاتمة هذه الآية الكريمة: أنه أعلم بمن ضل عن سبيله، أي: زاغ عن طريق الصواب والحق، إلى طريق الكفر والضلال.

وجاء إيضاح هذا المعنى في آيات عديدة من كتاب الله تعالى،ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١١٧﴾ (سورة الأنعام: ١١٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ

(١) انظر: النكت والعيون للماوردي:٣/٢٢٠، وتيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص٤٥٢.
(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي:٢/٢٩٧.
(٣) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور:١٤/٣٢٥-٣٣١.

﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة النجم: ٣٠)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ (سورة القلم: ٧ – ٨)[١].

أما السبب في تقديم ذكر الضالين على المهتدين: فهو أن مساق الكلام لهم، وإيراد الضلال بصيغة الفعل الدال على الحدوث لما أنه تغيير لفطرة الله التي فطر الناس عليها وإعراض عن الدعوة وذلك أمر عارض، بخلاف الاهتداء الذي هو عبارة عن الثبات على الفطرة، والجريان على موجب الدعوة، ولذلك جيء به على صيغة الاسم المنبئ عن الثبات، وتكرير (وَهُوَ أَعْلَمُ) للتأكيد والإشعار بتباين حال المعلومين ومآلهما من العقاب والثواب.[٢]

يقول الطبري موضحاً آخر الآية: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن ربك يا محمد هو أعلم بمن جار عن قصد السبيل من المختلفين في السبت وغيره من خلقه، وحادّ الله، وهو أعلم بمن كان منهم سالكا قصد السبيل ومحجة الحق، وهو مجاز جميعهم جزاءهم عند ورودهم عليه"[٣]

وفي الآية نسبتهم إلى الضلال بالإشارة والكناية دون التصريح؛ فلم يقل لهم مصرحا: إنكم قد ضللتم عن سبيله، وفي ذلك من حسن المعاملة ما يكون أقرب إلى استمالة القلوب.[٤]

(١) انظر: أضواء البيان للشنقيطي: ٢/٤٦٥-٤٦٦.
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ٥/١٥١.
(٣) جامع البيان للطبري: ١٤/٤٠٠-٤٠١.
(٤) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي: ٦/٥٩٥-٥٩٦.

وجاء عند بعض المفسرين أن الآية منسوخة بآية السيف.[1]

إلا أن الناظر في نزول الآية الكريمة يعلم أنها نزلت بمكة المكرمة في وقت الأمر بمهادنة المشركين، وأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف ولين، دون مخاشنة وتعنيف، وهكذا ينبغي أن يوعظ المسلمون إلى يوم القيامة.

وبناءً على هذا الفهم فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنّ الآية محكمة في جهة العصاة من الموحدين، ومنسوخة بالقتال في حق الكافرين، بل قالوا: إنّ الاقتصار على هذه الحال وألا تتعدى مع الكفرة متى احتيج إلى المخاشنة هو منسوخ لا محالة، وإنّ من أمكنت معه هذه الأحوال من الكفار ورجي إيمانه بها دون قتال فهي محكمة، والله أعلم[2].

(١) انظر: تفسير السمعاني: ٢١٠/٣، و معالم التنزيل للبغوي: ٥٢/٥. وآية السيف هي الآية الخامسة من سورة التوبة، وهي قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (سورة التوبة:٥).

(٢) انظر: المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٣٢/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٠/١٠.

المبحث الثاني

الأمر بالعدل في العقوبة أو الصبر، مع كون الصبر أولى.

تضمن قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (سورة النحل:١٢٦) الوصية الثانية من الوصايا الواردة في خواتيم سورة النحل.

ولهذه الآية تناسب مع الآية السابقة لها، فإن الله تبارك وتعالى لما بين أمر الدعوة، وأوضح طرقها، ورتّب تدرّجها، وقد يجد الداعي من المدعوين صنوفاً من الأذى، نهي عن مجازاتهم إلا على وجه العدل فقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾.

ولما أباح لهم درجة العدل، رقّاهم إلى رتبة الإحسان بقوله تعالى: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

وهذه الآية، والآيتان بعدها، مدنية في قول جمهور أهل التفسير.[2]

وأورد أهل التفسير والحديث روايات لقصة نزول هذه الآية،

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي: ٢٨١/١١-٢٨٢، وأنوار التنزيل للبيضاوي: ٢٤٥/٣، و تفسير المراغي:١٦٢/١٤.

(٢) نسب القول بهذا لجمهور أهل التفسير: القرطبي في الجامع لأحكام القرآن : ٢٠١/١٠، وانظر: تفسير السمعاني:٢١٠/٣، وحكى ابن كثير عن عطاء بن يسار قال: نزلت سورة "النحل" كلها بمكة، وهي مكية إلا ثلاث آيات من آخرها نزلت بالمدينة بعد أحد، انظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير:٦١٤/٤. ومن القلة الذين خالفوا في القول بمدنية الآية وما بعدها: ابن عاشور في التحرير والتنوير: ٣٢٦/١٤-٣٢٦، حيث قال : " وحكى الواحدي عن ابن عباس: أنها نزلت عقب غزوة أحد لما أحزن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منظر المثلة بحمزة- رضي الله عنه- وقال: «لأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم» وهذا يقتضي أن الآية مدنية.

ولا أحسب ما ذكراه صحيحا. ولعل الذي غر من رواه قوله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ (سورة النحل: ١٢٦) كما سيأتي، بل موقع الآية متصل بما قبله غير محتاج إلى إيجاد سبب نزول." وهذا خلاف لا يؤثر على عموم معنى الآية واتساع دلالاتها.

منها ما جاء عن أبيّ بن كعب (ت: ٣٠هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فمثلوا بهم فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوما مثل هذا لنربين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "نصبر ولا نعاقب"(١)

وفي رواية أخرى لسبب النزول: عن أبي هريرة (ت:٥٧هـ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشرف على حمزة يوم أحد، فرآه صريعا، فلم ير شيئا كان أوجع لقلبه منه، فقال: (والله لأمثّلن بسبعين منهم)، فنزل جبريل، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾، فصبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكفّر عن يمينه.(٢)

(١) انظر: الدر المنثور للسيوطي:٥/١٧٨-١٧٩. والحديث أخرجه الترمذي في سننه في كتاب التفسير: ٨ / ٥٥٩-٥٦٠ وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن حبان في موارد الظمآن للهيثمي :ص (٤١١) ، والحاكم وصححه في المستدرك: ٢ / ٣٥٩ ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى هذه الرواية في الفتح (٧ / ٣٧٢) وقال : "وهذه طرق يقوي بعضها بعضا".

(٢) هذا الحديث آخره ضعيف؛ وذلك في قول الراوي (فنزل جبريل، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واقف، بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾، فصبر رسول الله وكفّر عن يمينه). وقد أخرجه البزار في مسنده برقم (٩٥٣٠):١٧/٢١ من حديث أبي هريرة، وقال: لا نعلمه يروى عن أبي هريرة إلا من هذا الوجه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٦/١١٩: فيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. أ.هـ. وقد ضعفه ابن كثير أيضا في تفسيره ٤/ ٦١٤، والوهن فقط في ذكر نزول جبريل، ونزول الآية، ولفظ: «وكفر عن يمينه» ، وأما أوّله فهو حسن، وله شاهد من حديث أنس الذي أخرجه ابن سعد في طبقاته: ٣/ ١٤، والدارقطني في سننه: ٥/ ٢٠٥.

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: رأى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد شق بطنه، وجدعت أذناه، فقال: (لولا أن تحزن النساء أو تكون سنة بعدي لتركته حتى يبعثه الله من بطون السباع والطير ولأقتلن مكانه سبعين رجلا منهم) ، فنزل قوله تعالى ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ إلى قوله ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ .أورده الواحدي في أسباب النزول: ٥٧٣ بدون إسناد، وأخرجه ابن سعد في الطبقات: ٣/ ١٠، والبيهقي في الدلائل: ٣/ ٢٨٧، بإسناد ضعيف جدا، فيه يحيى بن عبد الحميد الحماني، متهم بسرقة الحديث كما في التقريب لابن حجر: ص٥٩٣ ، وقيس بن الربيع تغيّر لما كبر؛ انظر التقريب لابن حجر: ص٤٥٧.

وفي الآية الكريمة توجيه من الله تعالى لعباده المؤمنين بأن ينهجوا المنهج الشرعي عند إرادة الاقتصاص ممن ظلمهم، فالمؤمن مخيّر بين إحدى طريقتين:

الأولى: أن تعاقبوا من تعدّى عليكم بمثل الذي نالكم به ظالمكم من العقوبة.

فإن الدعوة تتضمن تكليف المدعوين بالرجوع عن الدين المألوف، والانفكاك منه شديد، وربما جرّ ذلك إلى المقاتلة، فحينئذ أُمر الداعي وأتباعه برعاية العدل والإنصاف في حال القتال قائلا ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إن رغبتم في استيفاء القصاص عند وقوع اعتداء أو قتل فاقنعوا بالمثل ولا تزيدوا عليه. والآية عامة، وإن ورد لنزولها أسباب، فالاعتبار بعموم اللفظ، وعمومه يؤدي هذا المعنى[1]

وإنما سمى فعل المشركين معاقبة وهم ابتدؤوا بالمثلة، ليتحقق ازدواج اللفظين، وتتناسب ديباجة القول، فيخف على اللسان، فسمى الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة.

والمعنى: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه كقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ (سورة الشورى: ٤٠)[2].

الثانية: أن تصبروا وتتجاوزوا عما صدر منه من الذنب،

(١) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٣١٦/٤-٣١٧، و إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٥٢/٥، و فتح القدير للشوكاني: ٢٤٣/٣.

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري: ٦٤٤/٢، والمحرر الوجيز لابن عطية: ٤٣٢/٣، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٩٣/٢-٥٩٤، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٢٠٢/١٠، التسهيل لابن جزي: ٤٣٩/١. وقد يكون التعبير بذلك من باب إطلاق المسبب على السبب، انظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٥٢/٥.

وتصفحوا عنه، وتحتسبوا عند الله ما نالكم به من الظلم، وتكلوا أمركم إليه سبحانه، وهو يتولى عقوبته، والصبر خير للصابرين من الانتقام، لأن الله ينتقم من الظالم بأشد مما يمكن أن ينتقم المظلوم لنفسه.

فإن الله سبحانه قد رغب عباده في الصبر على الأذى، والإعراض عن أذى المشركين، والعفو عنه، لأنه أجلب لقلوب الأعداء، فوصف بأنه خير، أي خير من الأخذ بالعقوبة، كقوله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ إلى قوله تعالى:﴿أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ (سورة النساء: ١٤٨- ١٤٩)، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ﴾ (سورة المائدة: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة فصلت:٣٤) ، وقوله تعالى: ﴿وجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ (سورة الشورى:٤٠) وقوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ (سورة الشورى: ٤١)[١]، ثم صارت الآية عامة في وجوب القصاص وكيفيته، وأنه لا يجوز إلا مثلاً بمثل، والعفو أفضل.[٢]

وحكى بعض المفسرين أن الآية منسوخة -كسابقتها- بآية السيف.[٣]

(١) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور:١٤/٣٢٦-٢٣٦، و أضواء البيان للشنقيطي : ٢/ ٤٦٦.
(٢) انظر: بحر العلوم للسمرقندي:٢/٢٩٨.
(٣) انظر: جامع البيان للطبري: ١٤/٤٠١-٤٠٦، والكشف والبيان للثعلبي: ٦/٥١-٥٢

إلاّ أن جمهور أهل التفسير يرون أنَّ الآية محكمة غير منسوخة، وإنما نزلت فيمن ظُلِمَ بظلامة فلا يحل له أن ينال من ظالم أكثر مما نال الظالم منه، ففيها أمر بالجزاء أو العفو، ونهي عن الاعتداء.[١]

يقول الطبري (ت:٣١٠هـ) مؤيداً القول بعدم النسخ:"وأن يقال: هي آية محكمة أمر الله تعالى ذكره عباده ألاّ يتجاوزوا فيما وجب لهم قبل غيرهم من حق من مال أو نفس، الحق الذي جعله الله لهم إلى غيره، وأنها غير منسوخة، إذ كان لا دلالة على نسخها، وأن للقول بأنها محكمة وجها صحيحا مفهوما."[٢]

وكذا الرازي (ت: ٦٠٦هـ) استبعد القول بنسخ الآية، معللاً ذلك بقوله:"قال بعضهم: إن قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ منسوخ بآية السيف، وهذا في غاية البعد، لأن المقصود من هذه الآية تعليم حسن الأدب في كيفية الدعوة إلى الله تعالى، وترك التعدي وطلب الزيادة، ولا تعلق لهذه الأشياء بآية السيف، وأكثر المفسرين مشغوفون بتكثير القول بالنسخ، ولا أرى فيه فائدة والله أعلم بالصواب."[٣]

ومن دقيق أقوال المفسرين في ربط الآية ومدلولها مع ما قبلها؛ ما ذكره ابن عطية (ت:٥٤١هـ) في تفسيره حين قال:"والمعنى متصل بما قبلها من المكي اتصالاً حسناً، لأنها تتدرج الرتب من الذي يُدعى

(١) نسب القول للجمهور: الشوكاني في فتح القدير: ٢٤٣/٣ ، وممن رجَّح القول بعدم النسخ الثعلبي في الكشف والبيان: ٥١/٦-٥٢، وعزا القول بالإحكام للنخعي والثوري ومجاهد وابن سيرين، وانظر أيضاً: معالم التنزيل للبغوي:٥٤/٥، وزاد المسير لابن الجوزي: ٥٩٣/٢-٥٩٤.

(٢) جامع البيان للطبري: ٤٠١/١٤-٤٠٦.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي: ٢٨٩/٢٠-٢٩٠. وانظر: لباب التأويل للخازن:١٠٨/٣.

ويُوعظ، إلى الذي يجادل، إلى الذي يجازى على فعله.[1]"

ثم ختم الله تعالى الآية بقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ يعني: لئن عفوتم ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ أي: خير للعافين، وقد تحقق هذا العفو في حق وحشي قاتل حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعدما أسلم، وكذلك تحقق هذا في عامة المشركين الذين أسلموا.[2]

(١) المحرر الوجيز لابن عطية: ٤٣٢/٣.
(٢) انظر: تفسير السمعاني:٢١٠/٣.

المبحث الثالث

الحث على الصبر في سبيل الدعوة، مع استحضار العون عليه من الله تعالى، وترك الحزن على المخالف بعد استفراغ الجهد معه.

ختم الله تعالى الوصايا الواردة في آخر سورة النحل بالحث على الصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ (سورة النحل:١٢٧).

وقد تضمنت هذه الآية أمراً من الله تعالى لرسوله بالصبر صراحةً بعد أن ندب إليه غيره في الآية السابقة، فهو عليه الصلاة والسلام أولى الناس بعزائم الأمور؛ لزيادة علمه بشؤونه تعالى، وفيه أيضاً إشارة إلى أن مقامه أعلى، فهو بالتزام الصبر أولى، أخذاً بالعزيمة بعد أن رخص لهم في المعاقبة، وهذا الأمر الوارد هنا هو امتداد لما ورد في الآية السابقة، فبعد أن كان الخطاب بالجمع، عطف عليه **بالأمر بالصبر على صيغة الإفراد له** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ **إجلالاً له، وتسلية فيما كان من سبب نزول الآية** من التمثيل بعمه حمزة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وتنويها بعظم مقام الصبر زيادة في حث الأمة، لأن أمر الرئيس أدعى لامتثال أتباعه، فقال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ﴾ ثم أتبع ذلك بالحث على دوام الالتجاء إليه سبحانه، لئلا يُتوهم أن لأحد فعلا مستقلا فقال تعالى: ﴿وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ فلا ناصر ولا معين غيره -عز وجل-.(١)

وفي الآية توجيه من الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بالصبر على الأذى في الله، والصبر على دعوة الخلق إلى دينه، والاستعانة بالله على ذلك، وعدم الاتكال على النفس ولا يتحقق

(١) انظر: نظم الدرر للبقاعي:١١/٢٨٢-٢٨٤، والتحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤/٢٣٦، و تفسير المراغي: ١٤/١٦٢.

ذلك إلا بمعونة الله وتوفيقه.[1]

ثم أرشده سبحانه إلى ترك الحزن على هؤلاء المشركين الذين يكذبونه وينكرون ما جاءهم به، وألاّ يضيق صدره بما يقولون من الجهل ونسبتهم ما جئتهم به إلى السحر أو الشعر أو الكهانة، فكل ما فعلوه إنما هو من باب الصد عن سبيل الله، وصرف من أراد الإيمان به، والتصديق بما أنزل على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقريب من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ (سورة الأعراف: ٢)، وقوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢﴾ (سورة هود: ١٢)[2].

وفي مفردة"ضيق"قراءتان متواترتان، فقد قرأ ابن كثير المكي (ت: ١٢٠هـ) هاهنا وفي النمل (ضِيق) بكسر الضاد، وقرأ البقية بفتح الضاد (ضَيق).[3]

وهما لغتان كالقول والقيل، ويمكن أن يكون الضيق تخفيف ضيّق.[4]

قال الفراء (ت: ٢٠٧هـ):"فالضيق ما ضاق عنه صدرك، والضيق ما يكون في الذي يتسع مثل الدار والثوب وأشباه ذلك"[5]

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ص٤٥٢.
(٢) انظر: جامع البيان للطبري: ٤٠٧/١٤-٤٠٨، ومعالم التنزيل للبغوي: ٥٤/٥.
(٣) انظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٣٠٥/٢.
(٤) انظر: أنوار التنزيل للبيضاوي:٢٤٥/٣.
(٥) معاني القرآن للفراء: ١١٥/٢.

ويقول أبو عبيدة (ت: ٢١٠هـ):"الضيق"بالكسر في قلة المعاش وفي المساكن، فأما ما كان في القلب والصدر فإنه بالفتح.[١]

وقال ابن قتيبة (ت: ٢٧٦هـ):"الضيق تخفيف ضيّق، مثل هين وهـيّن، ولين ولـيّن، فعلى هذا هو صفة، كأنه قال: ولا تكن في أمر ضيق من مكرهم.[٢]

ثم ختم الله تعالى السورة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (سورة النحل:١٢٨) وهي آية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، وفيها بيان أنّ الله سبحانه مع الذين اتقوا المعاصي كلها، على اختلاف أنواعها، والذين هم محسنون بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا بها على أكمل وجه، مع كونها خالصة عن شوائب الرياء.[٣]

وفي هذه الآية وعد من الله تعالى بالنصر للذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه، فمن اتقى الله في أفعاله، أحْسَنَ إليه في أحواله[٤]

فإن المراد بمعيّة الله تعالى لعباده هنا هو التأييد، والنصر، والتوفيق، والتسديد.[٥]

يقول الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ) مبيناً المراد بمعية الله في الآية،

(١) مجاز القرآن لأبي عبيدة:١/٣٦٩.
(٢) غريب القرآن لابن قتيبة: ص٢٤٩.
(٣) انظر: غرائب القرآن للنيسابوري: ٤/٣١٧،وفتح القدير للشوكاني: ٣/٢٤٣
وجاء عن الحسن في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ (سورة النحل: ١٢٨)، قال: "اتقوا الله فيما حرم عليهم , وأحسنوا فيما افترض عليهم" انظر: تفسير عبدالرزاق: ٢/٢٨١، وجامع البيان للطبري: ١٤/٤٠٩.
(٤) انظر: جامع البيان للطبري: ١٤/٤٠٩، و معاني القرآن وإعرابه للزجاج: ٣/٢٢٤، و النكت والعيون للماوردي/ ٣/٢٢٢.
(٥) انظر: تفسير الجلالين:ص٣٦٤، و التحرير والتنوير لابن عاشور: ١٤/٣٣٨، و أضواء البيان للشنقيطي:٢/٤٦٨-٤٦٩.

ومستشهدا على المعنى من كتاب الله، وموضحا معنى المعية العامة والخاصة:"وهذه المعية بعباده المؤمنين، وهي بالإعانة والنصر والتوفيق. وكرر هذا المعنى في مواضع أخر، كقوله تعالى: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ (سورة طه: ٤٦)، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ﴾ (سورة الأنفال: ١٢)، وقوله تعالى: ﴿لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ (سورة التوبة: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ٦٢﴾ (الشعراء: ٦٢)، إلى غير ذلك من الآيات.

وأما المعية العامة لجميع الخلق فهي بالإحاطة التامة والعلم، ونفوذ القدرة، وكون الجميع في قبضته – جل وعلا –: فالكائنات في يده – جل وعلا – أصغر من حبّة خردل، وهذه هي المذكورة أيضا في آيات كثيرة ، كقوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ﴾ الآية (سورة المجادلة: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كنتم﴾ الآية (سورة الحديد: ٤)، وقوله تعالى:﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيۡهِم بِعِلۡمٖۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ٧﴾سورة الأعراف: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ﴾ الآية (سورة يونس: ٦١)، إلى غير ذلك من الآيات.

فهو – جل وعلا – مستوٍ على عرشه كما قال، على الكيفية اللائقة بكماله وجلاله، وهو محيط بخلقه، كلهم في قبضة يده، لا يعزب عنه مثقال ذرّة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين."[1]

(١) كتاب المغازي، باب غزوة أوطاس، (٥/ ١٥٥) برقم (٤٣٢٣) بلفظه.

الخاتمة

الحمد لله على ما منَّ به عليَّ من إتمام هذا البحث، فله الحمد كله، وإليه يرجع الفضل كله.

فإن الحياة مع كتاب الله – عز وجل – نعمة يدركها من أنعم الله بها عليه، وما أسعد الإنسان إذا جعل هذا الكتاب أمامه، واهتدى بهديه، وتدبَّر معانيه.

وفي نهاية هذا البحث وصلت – بحمد الله وفضله – إلى جملة من النتائج يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

١. سورة النحل مكية في قول الجمهور غير ثلاث آيات من آخرها.

٢. ورد عن بعض السلف تسميتها بسورة النِعَم؛ لما عدّد الله فيها من النعم على عباده.

٣. تضمنت خواتيم سورة النحل جملة من الوصايا الربانية العظيمة.

٤. أمر رسوله أن يدعو الناس بأحد هذه الطرق الثلاثة وهي: الحكمة، والموعظة الحسنة، والمجادلة بالطريق الأحسن.

٥. يتخذ الداعي مع هذه الطرق أسلوب التدرج، فيدعوا أولاً بالحكمة، ثم بالموعظة الحسنة، ثم بالمجادلة بالتي هي أحسن.

٦. ذهب أهل التفسير إلى أنّ سبيل الله تعالى الذي أوصى الله تعالى نبيه بالدعوة إليه هو: الإسلام.

٧. المراد بالحكمة التي أُمر الداعي بأن يبدأ بها هي كل كلام أو علم يراعى فيه إصلاح حال الناس واعتقادهم إصلاحا

مستمرا لا يتغير.

٨. يسلك الداعي مع المدعو المنهج القرآني؛ وذلك بأن يبدأ معه بالحكمة فإن انقاد وإلا انتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة، وهي: القول الذي يلين نفس المقول له، ويجعله مهيئاً لعمل الخير.

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعية إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، فإنّ هناك من المدعوين من يحتاج إلى إلزامه وإفحامه بدليل مركب من مقدمات مشهورة مسلمة عند الجمهور، أو مقدمات مسلمة عند الخصم.

٩. تضمن قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ (سورة النحل:١٢٥) دليلاً على أن المناظرة والمجادلة في العلم جائزة، إذا كان المقصود منها إظهار الحق.

ومن إعجاز القرآن الكريم أن هذه الآية جمعت أصول الاستدلال العقلي الحق، وهي البرهان والخطابة والجدل.

١٠. حوى قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦﴾ (سورة النحل:١٢٦) توجيهاً منه تعالى لعباده المؤمنين بأن ينهجوا المنهج الشرعي عند إرادة الاقتصاص ممن ظلمهم، فالمؤمن مخيّر بين أن يعاقب من تعدّى عليه بمثل الذي ناله من ظالمه، أو يصبر ويحتسب الأجر عند الله تعالى.

١١. رغب الله تعالى عباده في الصبر على الأذى، والإعراض عن أذى المشركين، والعفو عنه، لأنه أجلب لقلوبهم، وأدعى لهدايتهم.

١٢. ختم الله تعالى الوصايا الواردة في آخر سورة النحل بالحث على الصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧﴾ (سورة النحل:١٢٧). وتضمنت الآية توجيها من الله تعالى لنبيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بالصبر على الأذى في الله، والصبر على دعوة الخلق إلى دينه، والاستعانة بالله على ذلك، وعدم الاتكال على النفس ولا يتحقق ذلك إلا بمعونة الله وتوفيقه.

١٣. ختم الله تعالى السورة بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ (سورة النحل:١٢٨)، وفيها بيان أنّ الله سبحانه مع الذين اتقوا المعاصي كلها، على اختلاف أنواعها، والذين هم محسنون بتأدية الطاعات، والقيام بما أمروا بها على أكمل وجه. كما اشتملت الآية على وعد من الله تعالى بالنصر والتأييد للذين يحسنون رعاية فرائضه، والقيام بحقوقه، ولزوم طاعته فيما أمرهم به ونهاهم عنه، فمن اتقى الله في أفعاله، أحْسَنَ إليه في أحواله.

وفي الختام أسأل الله – عز وجل – أن يغفر لي ما وقع في هذا البحث من تقصير، أو نقص، أو خطأ، أو زلل، وأن يتقبل مني، وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم.

كما أسأله سبحانه أن يحتسب لي هذا العمل عنده، و أن يجعله من الباقيات الصالحات التي تنفع المؤمن بعد موته، وأن يحقق نسبتي لأهل القرآن العظيم الذين هم أهل اللّه وخاصته.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين، وصلى اللّه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

ثبت المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لأبي السعود محمد بن مصطفى العمادي (ت٩٨٢هـ) دار إحياء التراث: بيروت، د.ط، د.ت.
٣. أسرار ترتيب القرآن: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع: الرياض، د.ط،د.ت.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: لمحمد الأمين الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات، دار الفكر: بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.
٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لعبدالله بن عمر البيضاوي (ت٧٩١هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
٦. بحر العلوم: لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر: بيروت، د.ط، د.ت.
٧. تأويلات أهل السنة: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
٨. التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر: تونس، د.ط، ١٩٨٤م.
٩. التوحيد والشكر في سورة النحل: لعبدالحميد محمد طهماز، دار القلم: دمشق، ط١، ١٤١٥هـ.
١٠. التسهيل لعلوم التنزيل: لمحمد بن أحمد بن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، دار الكتاب العربي: لبنان، ط٤، ١٤٠٣هـ.
١١. تفسير الجلالين: لجلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، دار الحديث: القاهرة،ط١، د.ت.
١٢. تفسير السمعاني: لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، دار الوطن: الرياض، د.ط، د.ت.
١٣. تفسير القرآن العظيم: لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة: الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
١٤. تفسير المراغي: أحمد بن مصطفى المراغي (ت ١٣٧١هـ)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده: مصر، ط١، ١٣٦٥هـ.
١٥. تفسير عبدالرزاق الصنعاني: لعبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: د. مصطفى مسلم، مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
١٦. تفسير مجاهد: لأبي الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، د.ط، د.ت.
١٧. تقريب التهذيب: لأحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد: سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٨. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس: جمعة محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: لعبدالرحمن بن ناصر السعدي (ت١٣٧٦هـ)، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر: القاهرة، ط١، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م
٢١. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي: بيروت، ط٤، ١٤٢٢هـ.
٢٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
٢٣. دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة: لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٤. زاد المسير في علم التفسير: لعبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت٥٩٧هـ)، المكتب الإسلامي ودار ابن حزم: بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٢٥. زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
٢٦. سنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي: بيروت، د.ط، د.ت.
٢٧. سنن الدارقطني: لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة: بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٢٨. الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد البصري، دار صادر: بيروت، د.ط، د.ت.
٢٩. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: للحسن بن محمد النيسابوري (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: زكريا عميران، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
٣٠. غريب القرآن: لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية: بيروت، د. ط، ١٣٩٨هـ.
٣١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر العسقلاني (ت٨٥٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة: بيروت، د.ط، ١٣٧٩هـ.
٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: لمحمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، تحقيق: د. عبدالرحمن عميرة، دار الوفاء: المنصورة، ط٢، ١٤١٨هـ.
٣٣. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، مكتبة العبيكان: الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
٣٤. الكشف والبيان: لأبي إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥. لباب التأويل في معاني التنزيل: لعلي بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت:٧٢٥هـ)، ضبطه وصححه: عبدالسلام شاهين، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٦. اللباب في علوم الكتاب: لعمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي (ت بعد ٨٨٠هـ)، تحقيق: عادل عبدالموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية: بيروت، ومكتبة عباس الباز: مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ.
٣٧. مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت:٢١٠هـ)، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ط، د.ت.
٣٨. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، دار الريان للتراث: القاهرة، دار الكتاب العربي: بيروت، د.ط، د.ت.
٣٩. محاسن التأويل: لمحمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث: بيروت، مكتبة دار الباز: مكة المكرمة، ط١، ١٤١٥هـ.
٤٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لعبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٤١. مدارك التنزيل وحقائق التأويل: لعبدالله بن أحمد النسفي (ت٧١٠هـ)، دار إحياء الكتب العربية: لبنان، د.ط، د.ت.
٤٢. المستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٤٣. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار: لأبي بكر أحمد بن عمرو العتكي المعروف بالبزار (ت: ٢٩٢هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، ط١، ١٩٨٨م.
٤٤. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور: لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، مكتبة المعارف: الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٤٥. معالم التنزيل: للحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ)، تحقيق: محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة: الرياض، ط٤، ١٤١٧هـ.
٤٦. معاني القرآن وإعرابه: إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب: بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ.
٤٧. معاني القرآن: ليحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، عالم الكتب: بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ.
٤٨. مقاييس اللغة: لأحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر: بيروت، د.ط، ١٣٩٩هـ.
٤٩. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٠. موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان: لأبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدّاراني وعبده علي الكوشك، دار الثقافة العربية: دمشق، ط١، ١٤١١هـ.
٥١. الموافقات: لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان: القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
٥٢. موسوعة التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم: لنخبة من العلماء بإشراف كلية الدراسات العليا والبحث العلمي بجامعة الشارقة: الشارقة، ط١، ١٤٣١هـ.
٥٣. النشر في القراءات العشر: لمحمد بن محمد بن الجزري (ت:٨٣٣هـ)، راجعه وأشرف على تصحيحه: علي محمد الضباع، مكتبة الرياض الحديثة: الرياض، د.ط، د.ت.
٥٤. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلامي: القاهرة، د.ط، د.ت.
٥٥. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠هـ)، راجعه وعلق عليه: السيد عبدالمقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية: بيروت، د.ط، د.ت.